تجليات (كورونا) في رواية (ليليات رمادة) لواسيني الأعرج : من العتبة إلى البهو.

Corona's manifestation in novel Leiliyat-Ramada (the nights of ramada) by Wassini al Araj: from the threshold to the hall.

تاريخ الاستلام: 2022/09/13 تاريخ القبول: 2022/11/06 تاريخ النشر: 2022/12/31

عبد الغاني خشـــة *
جامعة 08 ماي 1945 – قالمـــة (الجزائر)
Email : khacha.abdelghani@univ-guelma.dz

الملخـص:

تعدّ رواية **(ليليات رمادة)** للروائي **واسيني**الأعرج الصادرة حديثاً في جزأين عن دار الآداب العمل الأدبي المستوحى من أزمة الجائحة، ومن بين النّماذج السباقة للكتابة عن وباء كورونا حيث صّورت حياة الأفراد وصراعهم مع هذا الوباء، فتطرقت إلى مواضيع كثيرة ترتبط بموضوع الوباء كالموت، والخوف، والحب، وأسقطت القناع عن حضارة الوهم التكنولوجي والعلمي والطبي. وفي موازاة الوباء الجرثومي سعت الرواية إلى فضح آثار الوباء السياسي والاجتماعي الذي يفتك بالجزائر مثلما يفتك بدول العالم. فُحّملت بدلالات ورموز يمكن استنباطها من مضمون الأحداث، وحوار الشخصيات، وهذا ما نهدف إلى البحث عنه في هذه الدّراسة لمعرفة كيف تجلّت كورونا في الّرواية؟ وكيف تناولها الأدب انطلاقا من الّرواية؟ وما الدّلالا ت الّتي حملها موضوع كورونا داخل الّرواية؟ وهل جاء الحديث عنها بصفة عابرة أم أنّها سيطرت على النص الروائي من الغلاف بما يتضمنه من عتبات إلى النصّ بما يتضمنه من مضامين وأحداث؟

الكلمات المفتاحية: ليليات رمادة، كورونا، أدب الوباء.

Abstract:

The novel leiliyat ramada, by Wassini Al-Araj, is a literary work inspired by the pandemic crisis, as it depicted the lives of individuals, it touched on many themes related to the topic of the epidemic such as death, and dropped the mask from the civilization of technological, scientific and medical illusion. The novel sought to expose the effects of the political and social epidemic that is destroying Algeria as it is destroying the countries. It was loaded with semantics and symbols that can be deduced from the content of the events, and the dialogue of the characters. This study aims to find out how Corona was manifested in the novel? How did literature deal with it from the novel? And what are the implications of the subject of Corona in the novel? Was the talk about it in passing, with its thresholds, to the text, with its contents and events?

Keywords: *Leiliyat Ramada, Corona, epidemic literature.*

* المؤلف المرسل:

مجلة البحوث والدراسات الإنسانية المجلد 16/ العدد 02 –السنة 2022 ص ص 185–200
EISSN : 2588-2317 ISSN : 1112-8152

المقدمة:

لقد أعاد وباء كورونا الّذي بدا أشبه بالصدمة الما بعد الحداثية الحديث عن دأب الأوبئة إلى الواجهة نظرا لِما خلّفه من آثار على جميع المستويات، فكتب الأدباء معبّرين عنه، ومصوّرين ما آل إليه العالم في ظّل انتشاره الّرهيب، وهنا تعدّدت الجوانب المعبّر عنها من أديب إلى آخر؛ حيث صوّر بعضهم المآسي والوفيات، وعبّر البعض الآخر عن الحجر الصّحي وفِراق الأهل والأحباب، وغيرها، فأضحى بذلك النصّ الأدبي سجّلا يحوي معاناة الإنسان جّراء الوباء الّذي حوّل حياته إلى سجن مخيف حيث الخوف من الموت أصبح الهاجس الّذي لا يفارق كل شخص.

وأدب الوباء لم يكن وليد العصر بل له امتداداته في الماضي البعيد؛ حيث عرفت البشرية انتشار الأوبئة بكثرة زمن المجاعة والحروب، وهذا ما سجّلته بعض النصوص الأدبيّة الّتي تناولت الحديث عن موضوع الوباء نتيجة تأثر الأدباء بالظّرف العسير الّذي تمّر به الأوطان الّتي سيطرت عليها الأمراض والفجائع، فاتّخذوا هذا الموضوع مادّة لنصوصهم صوّروا من خلاله ما عاشه الأفراد من رعب، وحزن، نتيجة فراق الأحبة والأصدقاء، والخوف من الموت؛ ذلك أنّ نظرة الأديب لم تكن نظرة شخص عادي، ذلك أنّ الأديب يلاحظ أدق التّفاصيل، ويتأثّر بالقضايا الّتي تثير أحزان الإنسان، لذلك نجد النصّ الأدبي أّياكان نوعه مليئا بمسحة الحنين، والتّعبير الصّادق عن آلام الشّعوب وأحزانهم من خلال قّوة الألفاظ والأساليب المستخدمة لتصوير الموضوع.

والأدب العربي ثري بمختلف المؤلّفات والنّصوص الّتي تتناول موضوع الوباء كنصوص الّرحلات مثل رحلة (ابن بطوطة): (تحفة النظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، والقصائد الشّعرية مثل قصيدة (الكوليرا) لـ (نازك الملائكة)، والّروايات مثل رواية (إيبولا 76) للكاتب السوداني (أمير تاج السر)، وغير ذلك كثير،

كما لا يغيب موضوع الوباء عن الأدب الغربي فقد كتب الّروائي غابريال غارسيا ماركيز (García Márquez Gabriel) رواية (الحب في زمن الكوليرا)، وكتب الكاتب الأمريكي إدغار ألان بو (Edgar Allan Poe) قصّة بعنوان (قناع الموت الأحمر)، وكتب الإنجليزي دانييل ديفو (Daniel Defoe) رواية (دفتر أحوال الطاعون) وغيرها من الأعمال الأدبيّ ة الّتي عبّرت عن الواقع وترجمت آلام الشّعوب في فترات الأوبئة الّتي انتشرت فزرعت في النّفوس مشاعر الحزن والأسى، والخوف.

وهذه الأعمال دليل على اهتمام الأدب بما يعيشه الإنسان من ظروف قاسية فهو لصيق به يعبّر عنه من مختلف جوانبه لذلك تطغى عليه سمة الواقعية كونه يستمدّ مادّته من الواقع، وعليه فأدب الوباء هو أدب واقعي ظهر نتيجة شيوع الأمراض، والأوبئة وتأثيرها الكبير في جميع الأصعدة السّياسية، والثقافية والاقتصادية، والأهم من ذلك ما خلفته في نفوس الناس من دمار، فلم يجد الأديب من وسيلة يصوّر بها هذا الواقع الأليم سوى الكلمات الّتي صوّرت مشاعر الخوف والرّعب، وقوافل الجثث، وبكاء الفراق، وضعف المرضى، وحال المستشفيات، وغيرها من المعاناة الّتي سبّ بها الوباء.

1. وباء كورونا في الأدب:

مع حلول سنة 2020 اهتزّ العالم على وقع انتشار وباء خطير لم يكن في الحسبان فيروس (كورونا) أو (كوفيد 19)، حيث سيطر على العالم بأسره، وزرع الرّعب والخوف لدى جميع الشّعوب نظرا لسرعة انتشاره، وانتقال العدوى من شخص إلى آخر ، فوقفت الدول عاجزة على إيجاد الحلول النّاجعة أمام هذا الوباء الّذي أصبح شبحا مرعبا لا يفرّق بين صغير أو كبير، ولا بين امرأة أو رجل، فلم يكن أمامها من حلّ سوى اللّجوء إلى فرض الحجر الصّحّي الّذي يحتّم على كل شخص

البقاء في بيته والخروج إلاّ في وقت الضّرورة، فأُغلقت المرافق العمومية، والمدارس، والجامعات، وتوقفت الدّراسة، فأصبحت الحياة شبه متوقفة.

وأمام هذا الظّرف العسير رفع الأدباء أقلامهم معبّرين ومصّورين حال البلاد والعباد تحت وطأة الوباء، فمنهم من كتب قصائد شعرية منها: ديوان الشاعر المصري مُحَمَّد الكفراوي بعنوان (مكان مشبوه)، وقصيدة للشاعر السوري نزار عابدين بعنوان (الحب في زمن الكورونا)، وقصيدة بعنوان (ليالي كورونا) لعبد الله بن عبده نعمان العواضي، وقصيدة (الحب في زمن كورونة) للشاعر التونسي حمة الهمامي، وفي الرّواية نجد (جرس إنذار) للكاتب السوري إبراهيم اليوسف، و(في قبضة الكابوس-يوميات حصار كورونا-)، و(كجثة في رواية بوليسية) للروائية المغربية عائشة البصري، و(عدوى) للروائي الإيطالي باولو جيور دانو (Paolo Giordano)، بالإضافة إلى مجموعة قصصية للقاصة الأمريكية إلما والترز بعنوان (هذا اليوم امرأة أصابها الجنون في السوبر ماركت)، و(لقاءات ممنوعة لأربعة عشر يوما)كلّها أعمال أدبيّة تناولت موضوع كورونا من زوايا متعدّدة، وجوانب مختلفة، حيث تطرقت لمختلف مناحي الحياة فصّورت مشاعر الأفراد الّتي سيطر عليها الخوف والرّعب من الوباء.

فكانت بذلك كورونا مصدر إلهام للأدباء، حيث أنتجوا نصوصا أدبية تتماشى والظّرف الرّاهن الّذي يعيشه العالم، وتعبّر عنه بل تحّولت إلى قضية، وتيمة طبعت معظم الأعمال الّتي صدرت طوال مدّة الوباء، فكّل أديب صّورها حسب رؤيته، وطريقته الخاصّة، حيث «تكلّموا عن مشاعر الفقد وألم الفراق، وآلام المرضى في المستشفيات، ومشاعر المحبوسين في البيوت الخائفين من العدوى أو الملتزمين بالقوانين وطبيعة الحياة الجديدة (...) أو الفارّين إلى جغرافيا أخرى هربا من الموت المحدّق بالجميع بسبب الوباء المنتشر»(رمضان، علي، ه، ع، 2021، ص18)، فتعدّدت المواضيع بتعدّد التّجارب والظّروف الّتي عاشها وشاهدها الأديب.

وفتح موضوع كورونا المجال واسعا أمام الأدباء للتّعبير عن قضايا أخرى سياسية واجتماعيّة وثقافية معتمدين الّرمز لتبليغ رسائل إلى القارئ، لأنّ الوباء كشف عن ضقائجمّة في هذه المجالات، فتميّزت النّصوص المعّبرة عن الوباء بطغيان النّقد اللّاذع للأوضاع الّراهنة، فتجلّت كورونا كنقطة مركزية في النّصوص الأدبيّة وكان لها رمزيتها الّتي تحيل إلى العديد من الّدلالات والإيحاءات.

وتعدّ رواية (ليليات رمادة)من النّصوص الأدبية الّتي تناولت موضوع كورونا على امتداد صفحاتها، حيث اتّخذت منها موضوعا بنت عليه أحداثها، فكيف تناولت الرواية وباء كورونا؟ وما الموضوعات والقضايا المطروحة في ليليات رمادة؟ وما مدى ارتباطها بالواقع؟ وما الّدلالات الّتي حملتها كورونا في هذا العمل؟

2.تجلّيات كورونا في عتبات (ليليات رمادة):

تعدّ العتبات نصّا موازيا للنصّ الأصلي، وغالبا ما تأتي لتدلّ عليه وتلخص مضمونه بصورة مختصرة تتميز بقلة الألفاظ، وكثافة المعنى، وتميل أكثر إلى الّترميز والإيحاء، ولا ريب في أنّها تمثّل جزءا لا يتجزّأ من النصّ فهي «أساس كل قاعدة تواصلية تمكّن النصّ من الانفتاح على أبعاد دلالية تغني الّتركيب العام للحكاية وأشكال كتابتها، بيد أنّ عتبات النصّ لا يمكنها أن تكتسب أهميتها بمعزل عن طبيعة الخصوصية النصية نفسها»(الحجمري، ع، 1996، ص16)، فهي تعّبر عن المضمون وتكون منفتحة على القراءات والتّأويلات، ولا تخرج عن إطار النصّ ومضمونه.

وتتعدّد عتبات النصّ الأدبّي بين العناوين، والأغلفة، والإهداءات، والتّصديرات الّتي لا تنفصل عنه، وتستوقف القارئ، وتفتح أمامه «أفق انتظار، إّما للمساءلة أو لإعادة فهم منطق الحكاية بما يكثّف لحظاتها ويحّدد محكياتها»(الحجمري، ع، 1996،

ص17) ، ويثري مضامينها، ما يجعلها عنصرا أساسيا يمدّ للقارئ بأفكار قبل قراءة النصّ ككّل.

1.2.العنوان (ليليات رمادة):

لا شكّ في أنّ العنوان هو أهم عتبة تستوقف القارئ وتجذب انتباهه، ويؤّدي دورا كبيرا في جذب القّراء واختيار النصّ الأدبي، فكلّما كان جذّابا وموضوعا بطريقة مدروسة تراعي ذوق القّراء، كلّما كان أكثر انتقاء وقراءة لكونه «يحتل لوحده صدارة ووسط بداية صفحة الغلاف الأولى، أو أعلاها متربعا بذلك الموقع التّفضيلي على مركزها المشرق، الأمر الّذي يحيله إلى لوحة إشهارية مضيئة على صدر غلاف الّرواية (...)كما يؤهله هذا الموقع المتميّز لكي يصبح سلطة عليا على كّل الملفوظات الأخرى» (أشبهون، ع، 2011، ص10، 11) فهو بهذه الأهمية يمثّل بطاقة هوية العمل الأدبي الّتي تعّرف به، وتُنبئ بما يتضمنه من محتويات.

من هذا المنطلق يحجز عنوان رواية (ليليات رمادة) مكانة خاّصة ضمن العمل ككّل، حيث يتموضع في الغلاف كقيمة مركزية تدلّ على المضمون، وقراءة هذا العنوان من الوهلة الأولى يجعل القارئ مباشرة يستحضر النّظرة السوداوية الّتي تبعث في النّفس نوعا من القلق والارتباك، والحزن، ولم تأت هذه النّظرة اعتباطا بل تأتي انطلاقا من الّدلالات الّتي تحيل إليها اللّفظتان (ليليات و رمادة)، وما تتركه من أثر في النّفس.

إّنتسليط الضّوء على اللّفظتين يجعلنا نستكشف ما تخبّئه من معانٍ، ونستجلي ما وراء العنوان من دلالات، فالّليليات هنا تدلّ على الّرسائل الّتي كانت ترسلها بطلة الّرواية رمادة كّل ليلة إلى حبيبها شادي البعيد عنها، تقصّ له فيها كّل ما يحدث معها، وتعّبر فيها عن افتقادها وشوقها له، حيث اعتادت على ذلك كّل ليلة مع ما يصاحب مّدة كتابتها لهذه الّرسائل من مشاعر الألم والحسرة والتّأسف،

واللفظة هنا تعكس هذه المشاعر، لما تحيل إليه من معانٍ تدلّ على الظّلام، والوحدة، والسّواد الحالك، والعتمة، فتجسّد بذلك المعاناة، والمأساة الّتي تعيشها البطلة رمادة.

وبالإبحار في عمق الرّواية، والتّجول في عوالمها نلحظ أنّ لفظة اللّيل تتكرّر دائما في موضع تعبّر فيه الشّخصية عن الآلام، والحيرة، الّتي تسيطر عليها، تقول: «ليال مضت، مثقلة بالرماد، لم أدخلها في الحساب ولن أدخلها، بل لا قيمة لها في ذهني المتخم بالأرقام من أنّها أفقدتني أغلب أفراد عائلتي، وأبقتني وحيدة في تيه لم أعد قادرة على تحمله» (الأعرج، و، 2021، ص16، 17)، فتحوّل اللّيل من معناه المألوف الدّال على الزّمن إلى معنى آخر دال على المجهول، والغموض وأصبح مصدر معاناة، وحزن لا ينتهي.

وهي الدّلالة الّتي لا تبتعد كثيرا عن الدّلالة الّتي توحي إليها لفظة (رمادة) وهو اسم بطلة الرّواية، والرّماد كما هو معروف هو المخلّفات الّتي تنتج من احتراق الأشياء ذات لون داكن يميل إلى السّواد، ما يجعلها تحمل دلالات الموت، والانتهاء، أو العذاب والتّألم، ونلمح فيه إحالة إلى عوالم الأمراض والأوبئة، واستحضار لعام الرمادة (18هـ–638م)؛ حيث «وقعت بالمدينة المنورة وما حولها من القرى مجاعة شديدة، وكان ذلك بعد عودة الناس من الحجّ فحبس المطر من السّماء وأجدبت الأرض، وهلكت الماشية، واستمرت هذه المجاعة تسعة أشهر حتى صارت الأرض سوداء فشبّهت بالرّماد» (الأعرج، و، 2021، ص30)، وما أكدته المراجع التاريخية أنه «في سنة الأرض ثمان عشر أصاب الناس مجاعة شديدة، وجدب، وقحط، وهو عام الرمادة، وكانت الريح تسفي ترابا فسمّي عام الرمادة واشتد الجوع حتى جعلت الوحش تأوي إلى الأنس، وحتى جعل الرجل يذبح الشاة فيعافها من قبحها» (ينظر: عبد السلام، ع، 1999)، وفي المعنى نفسه: «... كان في عام الرمادة جدب عم أرض الحجاز، وجاع

الناس جوعا شديدا، وسميت عام الرمادة لأن الأرض اسودت من قلة المطر حتى عاد لونها شبيها بالرماد . وقيل: لأنها تسفي ترابا كالرماد» (ينظر: عبد السلام، ع، 1999)، ومن هنا تكتسب اللّفظة دلالة القحط، والجدب، وتوقف الحياة، وتشير البطلة إلى معناها قائلة: «الكلمة تعني يباس الأرض واسودادها بسبب شح الأمطار، بحيث يصبح لونها قريبا من لون الرّماد، وتعني أيضا ملامح الناس الجوعى الّذين لم يعد يجري في عروقهم أي دم»(الأعرج، و، 2021، ص30)، فاللّفظة مشحونة بالمعاني السّلبية، الّتي تدلّ على التّشاؤم، وتأزّم الواقع، والتّعب من الظّروف القاهرة.

لذلك تشمئّز البطلة رمادة من اسمها، ولا تحبه نظرا لما يحمله من دلالات سلبية، ما جعلها تتساءل: « هل كنتُ بهذا السّوء على والدي حتى يسميني رمادة؟ (...) أحَسستُ بألم شديد في بطني، وفي عيني وقلبي (...) مع ذلك تحّملتُ اسمي قدرا بكل تبعاته النّفسية الخاصة، والتّاريخية العامة»(الأعرج، و، 2021، ص30)، وبإسقاط هذه الدّلالات الّتي يحملها العنوان على مضمون النصّ، يتبيّن مدى الارتباط الوثيق بينهما، فالرّواية في عمومها تطرح موضوع وباء كورونا الّذي سيطر على العالم في الوقت الرّاهن، مع ما يتضمنه من حديث عن الموت، والآلام النفسية والجسدية الّتي يسببها، ما جعل مدّة انتشاره ليال طويلة حالكة يحترق فيها الناس ألما وخوفا على أنفسهم وأحبائهم من الفراق، والمرض.

2.2.الغلاف:

الغلاف هو العتبة الرّئيسية الأولى الّتي تصافح بصر المتلقي، وقد تحّول من وسيلة تقنية معدّة لحفظ الحاملات الطباعية إلى فضاء من المحفزات الخارجية والموّجهات الفنّية المساعدة على تلقي المتون (الصفراني، م، 2008، ص 133) ، فهو النصّ البصري الّذي مادته الألوان والرسومات، والأشكال الّتي يتم وضعها بعناية لتتناسب

مع الموضوع المطروح وتدلّ على مضمونه، وهو بهذه السّمات يمثّل مصدرا مهما يعمل على توجيه القارئ نحو الموضوعات الّتي يتناولها الكتاب.

تميّز الغلاف الأمامي لرواية ليليات رمادة بطغيان اللّون الأسود القاتم الّذي يعمّ الشّارع الظّاهر في الصّورة ويبدو أنّه دالّ على زمن اللّيل، والسّواد يحمل دلالة الحزن العميق، والخوف، و«الغفلة والظلمة، ذلك لأنّ شدّة الظّلام تحجب الّناظر عن النّظر في ملاحظة الأشياء، وبالتالي يجهل حقائقها ومعانيها» (مظهر صالح، ض، 2012، ص210) وهي الدّلالة الّتي تحملها صورة البناية المغلقة النّوافذ والأبواب، والغلق دليل على الخوف والهروب من أمر ما، كما يشير إلى السّكون الرّهيب والجمود، وانعدام الحركة والتّطور، وهو ما يحيلنا إلى الوضع الّذي يعيشه العالم في ظّل انتشار الوباء القاتل، حيث فُرِض عليهم الحجر المنزلي الّذي يمنع التّجمعات، وخروج الناس من منازلهم، وهي الدّلالات الّتي تترجم ما ورد في الّرواية.

وفي الغلاف الخلفي وردت صورة لبناية يُسلّط عليها ضوء خافت، وكأنّ ظلمة اللّيل في طريقها إلى التّلاشي وهو ما طبعه بدلالة التّفاؤل والأمل بزوال الوباء وعودة الحياة إلى طبيعتها، كما كُتب على الصّورة قول طويل يتضمن الحديث عن وقت كتابة رواية ليليات رمادة أي أيام انتشار فيروس كوفيد 19 ، وما أثاره من رعب في كّل مدن العالم، وتضمن أيضا لمحة عامة عن مضمون الرواية وشخصياتها الّرئيسية، ليُختم القول بأسئلة كثيرة عن مصير الشخصيات في نهاية الّرواية، وسؤال عن المصير المجهول الّذي ينتظر البشرية: هل هو الوباء الّذي سيحول "كوفيلاند" إلى مقبرة بسعة الخيبة؟، وهذا يخلق في نفس القارئ نوعا من التّشويق لقراءة الّرواية كاملة ليتمكّن من إيجاد أجوبة للأسئلة المطروحة.

وعليه فالغلاف الخارجي لرواية ليليات رمادة أّى وظيفيتين رئيستين هما: الوظيفة الإغرائية الّتي تقوم بدور إغراء وجذب القارئ لشراء العمل والإقبال عليه، وتبرز من خلال التّقنيات الموظّفة في اختيار الألوان، والصّورة، وكذا اختيار الكلمات الّتي كُتبت على الغلاف الخلفي الّتي لم تُفصح عن مضمون الّرواية بل ذكرت إشارات تجعل القارئ يتشّوق للاطّلاع عليها، بالإضافة إلى اختيار أسلوب الاستفهام وطرح أسئلة كثيرة لا يمكن الإجابة عنها إلاّ بقراءة الّرواية والاطّلاع على أحداثها، ووظيفة تعبيريّة تتمثّل في شحن الصور والعنوان بدلالات تحيل على المضمون، وتدلّ عليه.

3.2التّصدير:

يأتي التّصدير في أول صفحة من العمل الأدبي، وتصدير الكتاب هو «اقتباس بجدارة بإمكانه أن يكون فكرة أو حكمة تتموضع في أعلى الكتاب، أو بأكثر دقة على رأس الكتاب أو الفصل، ملخِصا معناه فهو ذو وظيفة تلخيصية» (عبد الحق بلعابد، ع، 2008، ص.107)، ولا يوضع اعتباطا بل يوضع بناء على مدى صلته وتعبيره عن المضمون، لذلك ينتقي الكتّاب تصديرات أعمالهم تبعا لعدّة معايير أهمها ارتباطه الوثيق بالنصّ.

واختار واسيني لروايته ليليات رمادة أن يكون تصديرها أحد أقوال الّروائي اليوناني نيكوس كزانتزاكي (Nikos Kazantzaki) الّذي يقول «لا أنتظر شيئا، ولا أخاف من شيء، فأنا حّر» (الأعرج، و، 2021، ص05)، ونلمس في هذا القول نوعا من التّحدّي والقّوة، فالقائل هنا لا يقيّد نفسه بالانتظار، ولا يتملكه الخوف من الموت ومن الوباء الّذي انتشر في زمانه حيث توفي بالحمى الأسيوية، ورغم المرض فهو يعلن عدم خوفه من ذلك.

فالاقتباس له صلة مباشرة بمضمون رواية ليليات رمادة، لما تظهره شخصياتها من تحدّ للواقع الأليم الّذي يعيشونه، والظّروف الصّعبة الّتي يمّرون بها بسبب انتشار

الـوباء، كمـا أنّ السـياق والظّـروف الّـتي قيـل فيهـا هـذا الاقتبـاس، هـي نفسـها الّـتي تتحـ ـدّث عنها الّرواية وكأنّ التاريخ يعيد نفسه، والوباء يعود من جديد ليهدّد حياة النـاس، فأضـاف ذلـك للّرواية قيمـة تعبيريـة مكثّـفة الـدّلالات تعمـل على خلـق أفـق انتظار القارئ والتنبؤ مسبقا بمضمون الأحداث قبل الولوج إلى عوالم الّرواية.

3.تجليات كورونا في مضمون رواية ليليات رمادة:

تُفتتح الّرواية بحديث يستعرض تاريخ الأوبئة والأمراض الّتي ظهرت عبر التّـاريخ في مختلف المناطق من العالم، ويحرص الّروائي على ذكر أماكن تخييلية لكنها تعبّر عن الواقع، مع ذكر لما خلفته من خسائر بشرية وما حصدته من أرواح يقول: «قبل أن تموت كوفيلاند ممزقة إلى أجزاء صغيرة كانت مثالا للحياة والاستمرار، قاومت كل الأوبئة منذ القرن الميلادي الأول، وما تزال مستمرة في قتالها حتى اليوم، استعارت هـذه المدينـة أسماءهـا التاريخيـة المتتاليـة مـن الأوبئـة والمحـن (...) إذ قتلـت ربـع سـكانها»(الأعـرج، و، 2021، ص07)، فكوفيلانـد هنـا هـي مدينـة الكوفيـد أو أرض الكوفيد؛ أي الوباء، ومن هنا يتخذ الحديث عن الوباء بصفة عامة وكورونا بصفة خاصـة مكانـة واسـعة علـى امتـداد الروايـة، فمـن البدايـة إلى النهايـة كانـت محـور الأحداث، وحوار الشخصيات.

فتكـون بـذلك كـورونا هـي النقطـة المركزيـة في الّروايـة، وارتـبط موضـوع كـورونا بموضوعات أخرى طُرحت في الّرواية أهمها:

1.3–الوباء والموت:

بدأت الّرواية بالحديث عن الأوبئة وما خلفته من خسائر بشرية حيث قضت على عدد هائل من الناس، وقد ارتبط الوباء بموضوع الموت لأنّـه قاتل، وأينما حلّ خلّـف مـآس وأوجـاع ، وهـذا مـا بـدا في الّروايـة بشـكل جلّي، حيـث شـكّل المـوت

الهاجس الّذي سيطر على جميع شخصيات الّرواية، وذلك بسبب الوباء وسرعة انتشاره، وتسببه في مقتل عدد هائل من الناس، والّرواية عكست الواقع الأليم حيث صّورت تأثير الوباء على نفسية الشّخصيات الّروائية، فنجد الشّخصية البطلة تسرد هذا الواقع بقولها: «لقد أعلنوا اليوم بدء الانكفاء الحجر كما يسمونه، لا خيار لنا هنا، كوفيد سكن المدينة وأصبح مواطنا فوق العادة، بيده أرواح خمسين مليون نسمة... لا تعرف ماذا تفعل أمام سطوته»(الأعرج، و، 2021، ص13)، فالوباء سيطر كلّيا على حيا ة الناس، وصارت أرواحهم في قبضته، والّرواية تطرح موضوع الموت بشدّة لأنّ موضوعها الّرئيس هو الوباء.

والموت كما هو معروف يحمل دلالات الانتهاء، والتوقف عن الحياة، والسكون، إنّه ضدّ الحياة والحركة، والتطور، وكثيرا ما ارتبط بموضوع الوباء لأنّ «الوباء هو التّاريخالوحيد الّذي يتذكّره الناس لأنّه لا يقتل بالمفرد، ولكنه موجة عندما تأتي تمسح كل شيء في طريقها، لا تترك شيئا وراءها حتى المسالك الوعرة تطالها» (الأعرج، و، 2021، ص12) ، لذلك لا يخلو نصّ أدبي يطرح موضوع الوباء من الحديث عن الموت وما يخلّفه من معاناة وأحزان فيالنّفوس الّتي ترغب في الحياة، وترى في الوباء عدّوا يهدّد هذه الحياة، ما يدفعها إلى الإحساس بأنّ الموت دائم الترّصد لها كما تقول رمادة: «لا يمكنني أن أغفل عن الموت ولا ثانية، رائحته تسبقه، أشمها أحيانا حتى داخل بيتي ...أرى الموت وأشمه تحت الطاولات وفوقها، في المطبخ، في مختلف غرف النوم»(الأعرج، و، 2021، ص24) ، فتحّول الموت بذلك إلى هاجس، ومصدر قلق دائم.

وتعدّدت نظرة شخصيات الّرواية إلى الموت، فمنهم من يموت لأنّه فقد قريبا، أو حبيبا، أو عزيزاعلى قلبه فيعيش كالميّت بحيث يفقد طعم الحياة، وتتحول حياته إلى أحزان جّراء هذا الفقد، وهو ما عبّرت عنه رمادة بقولها: «ليس الموت هو ما يخيف، رائحته واحتمالاته المفجعة هي المرعبة ...أتمنى أن يأخذني الله دفعة واحدة وألا

يقسّط آلامي وموتي» (الأعرج، و، 2021، ص25)، هذه الآلام الّتي تتراكم وتتجدّد كلّما مات قريب لها، أو عزيز عليها.

2.3.الوباء والحب:

تعدّ ثنائية الحب والوباء من الثنائيات الّتي تُطرح بقوة في أدب الأوبئة، وفي النصوص الّتي تطرح موضوع الوباء، و(ليليات رمادة) تتمحور أحداثها حول هذه الثنائية؛ إذ تحّرك هذه الأحداث البطلة (رمادة) وحبيبها (شادي) فهم يعيشان قصة حب لكن تشاء الأقدار أن يفترقا بسبب الوباء، وذلك بعد إصابة (شادي) بفيروس كورونا فاضطّر إلى مغادرة الجزائر نحو فيينا للعلاج، الأمر الّذي جعلها تحزن لهذا الفراق، وتعيش مأساة حقيقية، لدرجة أنّها تعجز عن الكتابة له، والتّعبير عن ما يختلج نفسها من أوجاع، تقول معّبرة عن ذلك: « كلما حاولتُ الكتابة لكَ، عذّبني بياض الورقة، لقد طال هذا البياض ولم أعد أملك له أي حل سوى الصمت والانكفاء، الوباء ينتشر بوتيرة مخيفة كلما سمعت سيارات الإسعاف بنداءاتها التي تمزق سكينة الليل، شعرت بأنّ للموت صوتا، كثر النواح الّذي يصل إلى أذني كلما غفوت، عدد الأمـوات وصـل إلى المئـات ثم انتقـل إلى الآلاف يوميـا»(الأعـرج، و، 2021، ص33)، فيتحّول الفراق أيضا إلى وباء قاتل لا تستطيع البطلة تحمله، ومع ذلك لا تنطفئ شمعة الأمل بلقاء حبيبها يوما، وهذا ما جعلها تتحدّى الظّروف الصّعبة الّتي تمّر بها في ظّل انتشار وباء كورونا.

2.3.الوباء والخوف:

أضف إلى ذلك فإنّ الوباء ولّد لدى الجميع شعورا بالخوف، فمشاعر الخوف أصبحت المتحكّم الأكبر في حياتهم؛ خوف من الموت، وخوف من الفراق، وخوف من موت الأهل والأحباب، وبدا هذا الشّعور جليّ ا في رسائل رمادة إلى شادي الّتي

تقول في إحداها: «هذا الخوف الذي سكن الجميع فجأة، بدون سابق إنذار، كاشفا عن كل نقاط ضعفنا وأمراضنا الدفينة، وشرورنا أيضا، الموت لم يعد بعيدا ، نشربه كل صباح مع القهوة التي نتقيؤها عند عتبة الباب الخارجي خوفا من أن يكون كوفيد قد التصق بها»(الأعرج، و، 2021، ص21)، فهذا الصّراع الّذي تعيشه البطلة تجّسد داخل الّرواية مبرزا مدى قساوة الواقع، ومدى تأثير الوباء على جميع الأصعدة بدءا بالتّأثير النّفسي على كّل إنسان إلى التّأثير على المستوى الاجتماعي، والثّقافي، والاقتصادي، والّسياسي، فلم يعد الوباء مجّرد مرض بل تحّول إلى حرب مدمرة تنتهك كّل المجالات دون استثناء.

وقد يتحول الخوف أيضا إلى وباء قاتل، فهناك من مات بسبب الخوف لا بسبب الوباء كما تقول رمادة: «ليال كثيرة مضت، فقدت فيها الكثير من جيران أهلي، الكثيرون ماتوا من الخوف من الوباء وليس من الوباء، ظلوا يرتعشون خوفا من ظلامه، ويتفاخرون بمعرفة كل تفاصيله بل حتى باكتشاف اللقاح المنتظر»(الأعرج، و، 2021، ص17)، وفي هذا انتقاد للنفوس الضّعيفة الّتي سيطر عليها الخوف فخسرت حياتها بسببه، على الرغم من أنّها تمتلك البديل وهو أخذ الاحتياطات اللازمة، والالتزام بالحجر الصحي، وفي المقابل تظهر البطلة بمظهر المتحدّي الّذي لا يخاف من الوباء وتتجاوز فكرة الموت بسببه بقولها: «لم أصب بهستيريا الآخرين، لم أخف منه، لأنه لا سلطان لنا على الموت، لكنني كما الكثيرات والكثيرين، قررت ألا أمنحني لهذا القاتل السري بسهولة ألا أسعده بموتي، ان أحذر وكأن كوفيد يتربص بي وحدي، هذا الظّرف الطّارئ غيّر كليا طبعي وجعلني لا أغضب من شيء، ولا حتى كوني معّرضة للإصابة والموت في أية لحظة»(الأعرج، و، 2021، ص03) ، فهي نموذج القوة والتحدّي الّي ينبغي على كل شخص الاحتذاء به.

خاتمة:

تجلّى موضوع الوباء في (ليليات رمادة) بصفة بارزة، من العتبة إلى النصّ، فالغلاف بما يحويه من عنوان وصورة معبرة تضمن دلالات تحيل إلى مضمون الّرواية وموضوعها الرئيس، وكذلك عبّر المضمون بما يتضمنه من أحداث ومقاطع سرية وحوارات بين الشخصيات عن موضوعات ارتبطت بالوباء، وكشف عن واقع مأساوي عاشه العالم بأسره بسبب فيروس كورونا.

لم تكن الّرواية مجّرد عرض لأحداث وشخصيات خيالية بل عكست الواقع، وجسدته بكل تفاصيله، فكّل ما تضمنته مستُمدّ من الفترة الّتي انتشر فيها وباء كورونا، وما عاشته البشرية من آلام وفجائع جّراء هذا الوباء.

وظّفت الرواية الوباء بطريقة رمزية، ما جعله يحمل الكثير من الدّلالات الّتي كشفت عن واقع منحطّ على جميع الأصعدة الّسياسية، والثقافية، والاجتماعية، والاقتصادية.

لم يكن الوباء في الّرواية هو الموضوع الوحيد المطروق بل عُدّ البوابة الّتي نلج من خلالها إلى مواضيع أخرى، حيثُ وظّف كأداة تمّ من خلالها تمرير رسائل وانتقادات لاذعة من خلال توظيفه بطريق رمزية.

رواية ليليات رمادة رواية واكبت الّراهن وعبّرت عنه بطريقة أدبية، فشكّلت بذلك عالما ثريا يرتبط بالواقع لا ينفصل عنه، فهي بذلك أحد النّماذج الّتي تُضاف إلى رفوف مكتبة ما يُعرف بأدب الوباء.

قائمة المراجع:

1. رمضان، علي، هـ، ع، (2021)، **تجلّيات كورونا في الشّعر المعاصر؛ دراسة نقدية**، ط1، تركيا: المنتدى العربي التركي للتبادل اللغوي.
2. الحجمري، ع، (1996)، **عتبات النص: البنية والدّلالة**، ط1، الدار البيضاء: شركة الرابطة.
3. الحجمري، ع، (1996)، **عتبات النص: البنية والدّلالة**، ط1، الدار البيضاء: شركة الرابطة.
4. أشبهون، ع، (2011)، **العنوان في الرواية العربية**، ط1، دمشق: محاكاة للدّراسات والنشر والتّوزيع.
5. الأعرج، و، (2021)، **ليليات رمادة**، ط1، الجزائر: منشورات بغدادي.
6. الأعرج، و، (2021)، **ليليات رمادة**، ط1، الجزائر: منشورات بغدادي.
7. عبد السلام، ع، (1999)، **قواعد الأحكام في مصالح الأنام**، بيروت: دار الكتب العلمية.
8. الأعرج، و، (2021)، **ليليات رمادة**، ط1، الجزائر: منشورات بغدادي.
9. الأعرج، و، (2021)، **ليليات رمادة**، ط1، الجزائر: منشورات بغدادي.
10. مُحَمَّد الصفراني، م، (2008)، **التّشكيل البصري في الشّعر العربي الحديث (1950–2004)**، ط1، السعودية: النادي الأدبي بالرياض.
11. مظهر صالح، ض، (2012)، **دلالة اللّون في القرآن والفكر الصوفي**، ط1، دمشق: دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع.
12. بلعابد، ع، (2008)، **عتبات (جيرار جينيت من النص إلى المناص)**، ط1، الجزائر: منشورات الاختلاف.
13. الأعرج، و، (2021)، **ليليات رمادة**، ط1، الجزائر: منشورات بغدادي.